كتاب الشِّعر

باب أصدق كلمة قالها الشاعر*

شرح الحديث رقم ١١٠٠ صفحة -٤٩٣-كتاب الشيخ: يحيى اليحيى الجزء الثالث

جاء في كتاب فتح الباري لابن حجر :

٣٦٢٨- حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم

قال ابن حجر في شرح الحديث

قوله : (سفيان) هو الثوري .

قوله : (عن عبد الملك) هو ابن عمير ، ولأحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري " حدثنا عبد الملك بن عمير " . ولمسلم من هذا الوجه عن عبد الملك " حدثنا أبو سلمة " ، وله من طريق إسرائيل عن عبد الملك عن أبي سلمة بن عبد الرحمن " سمعت أبا هريرة " .

قوله : (أصدق كلمة قالها الشاعر) يحتمل أن يريد بالكلمة البيت الذي ذكر شطره ، ويحتمل أن يريد القصيدة كلها ، ويؤيد الأول رواية مسلم من طريق شعبة وزائدة فرقهما عن عبد الملك بلفظ " إن أصدق بيت قاله الشاعر " وليس في رواية شعبة " إن " ووقع عنده في رواية شريك عن عبد الملك بلفظ " أشعر كلمة تكلمت بها العرب " فلولا أن في حفظ شريك مقالا لرفع هذا اللفظ الإشكال الذي أبداه

السهيلي على لفظ رواية الصحيح بلفظ " أصدق " إذ لا يلزم من لفظ " أشعر " أن يكون أصدق ، نعم ، السؤال باق في التعبير بوصف كل شيء بالبطلان مع اندراج الطاعات والعبادات في ذلك وهي حق لا محالة ، وكذا قوله – صلى الله عليه وسلم – في دعائه بالليل أنت الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق إلخ .

وأجيب عن ذلك بأن المراد بقول الشاعر : ما عدا الله ؛ أي : ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمته وعذابه وغير ذلك ، فلذلك ذكر الجنة والنار ، أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد ، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما ، والحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، ولعل هذا هو السر في إثبات الألف واللام في قوله : أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق وحذفهما عند ذكر غيرهما والله أعلم .

وفي إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب تلميح بما وقع لعثمان بن مظعون بسبب هذا البيت مع ناظمه لبيد بن ربيعة قبل إسلامه ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يومئذ بمكة وقريش في غاية الأذية للمسلمين ، فذكر ابن إسحاق عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه عن عثمان بن مظعون أنه " لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة ، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد على الوليد جواره ، فبينما هو في مجلس لقريش وقد وفد عليهم لبيد بن ربيعة فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد : "

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

" فقال عثمان بن مظعون : صدقت ، فقال لبيد "

وكل نعيم لا محالة زائل

" فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش ؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه ، فلامه الوليد على رد جواره فقال : قد كنت في ذمة منيعة ، فقال عثمان : إن عيني الأخرى لما أصاب أختها لفقيرة . فقال له الوليد : فعد إلى جوارك ، فقال : بل أرضى بجوار الله تعالى . قلت : وقد أسلم لبيد بعد ذلك ، وهو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر العامري ثم الكلابي ثم الجعفري ، يكنى أبا عقيل . وذكره في

الصحابة البخاري وابن أبي خيثمة وغيرهما . وقال لعمر لما سأله عما قاله من الشعر في الإسلام : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة . ثم سكن الكوفة ومات بها في خلافة عثمان ، وعاش مائة وخمسين سنة وقيل أكثر . وهو القائل :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وهذا يعكر على من قال : إنه لم يقل شعرا منذ أسلم ، إلا أن يريد القطع المطولة لا البيت والبيتين ، والله أعلم .

قوله : (وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم) اسم أبي الصلت ربيعة بن عوف بن عقدة بن غيرة – بكسر المعجمة وفتح التحتانية – ابن عوف بن ثقيف الثقفي ، وقيل في نسبه غير ذلك ، أبو عثمان . كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب ويقال : إنه ممن دخل في النصرانية ، وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة ، وزعم الكلاباذي أنه كان يهوديا .

وروى الطبراني من حديث معاوية بن أبي سفيان عن أبيه أنه سافر مع أمية ، فذكر قصته وأنه سأله عن عتبة بن ربيعة وعن سنه ورياسته فأعلمه أنه متصف بذلك فقال : أزرى به ذلك ، فغضب أبو سفيان ، فأخبره أمية أنه نظر في الكتب أن نبيا يبعث من العرب أظل زمانه ، قال : فرجوت أن أكونه قال : ثم نظرت فإذا هو من بني عبد مناف ، فنظرت فيهم فلم أر مثل عتبة ، فلما قلت لي : إنه رئيس وإنه جاوز الأربعين عرفت أنه ليس هو . قال أبو سفيان : فما مضت الأيام حتى ظهر محمد – صلى الله عليه وسلم – فقلت لأمية ، قال : نعم إنه لهو . قلت : أفلا نتبعه ؟ قال : أستحيي من نسيات ثقيف ، إني كنت أقول لهن : إنني أنا هو . ثم أصير تابعا لغلام من بني عبد مناف . وذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه قال عند موته : أنا أعلم أن الحنيفية حق ، ولكن الشك يداخلني في محمد .

وروى الفاكهي وابن منده من حديث ابن عباس أن الفارعة بنت أبي الصلت أخت أمية أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – فأنشدته من شعره فقال : آمن شعره وكفر قلبه وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : هل معك من شعر أمية ؟ قلت : نعم ، فأنشدته مائة بيت ، فقال : لقد كاد أن يسلم في شعره وروى ابن مردويه بإسناد قوي عن عبد

الله بن عمرو بن العاص قال في قوله تعالى : واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال : نزلت في أمية بن أبي الصلت . وروي من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي وهو المشهور .

وعاش أمية حتى أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار كما سيأتي من ذلك في أبواب الهجرة ، ومات أمية بعد ذلك سنة تسع ، وقيل : مات سنة اثنتين ذكره سبط ابن الجوزي ، واعتمد في ذلك ما نقله عن ابن هشام : أن أمية قدم من الشام على أن يأخذ ماله من الطائف ويهاجر إلى المدينة ، فنزل في طريقه ببدر ، قيل له : أتدري من في القليب ؟ قال لا . قيل : فيه عتبة وشيبة وهما ابنا خالك وفلان وفلان ، فشق ثيابه وجدع ناقته وبكى ورجع إلى الطائف فمات بها . قلت : ولا يلزم من قوله : فمات بها أن يكون مات في تلك السنة . وأغرب الكلاباذي فقال : إنه مات في حصار الطائف . فإن كان محفوظا فذلك سنة ثمان ، ولموته قصة طويلة أخرجها البخاري في تاريخه والطبراني وغيرهما .

باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشِّعر

شرح الحديث رقم ١١٠١ صفحة –٤٩٣–كتاب الشيخ: يحي اليحي الجزء الثالث

جاء في كتاب فتح الباري لابن حجر :

باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن

٥٨٠٢– حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا

قال ابن حجر في شرح الحديث

قوله : (باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن) هو في هذا الحمل متابع لأبي عبيد كما سأذكره ، ووجهه أن الذم كان للامتلاء وهو الذي لا بقية لغيره معه دل على أن ما دون ذلك لا يدخله الذم .

حديث لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة ، وزاد أبو ذر في روايته عن الكشميهني في حديث أبي هريرة حتى يريه وهذه الزيادة ثابتة في " الأدب المفرد " عن الشيخ الذي أخرجه عنه هنا ، وكذلك رواية النسفي ، ونسبها بعضهم للأصيلي ، ولسائر رواة الصحيح قيحا يريه بإسقاط حتى ، وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من طرق عن الأعمش في أكثرها حتى يريه ووقع عند الطبراني من وجه آخر عن سالم عن ابن عمر بلفظ حتى يريه أيضا . قال ابن الجوزي : وقع في حديث سعد عند مسلم حتى يريه وفي حديث أبي هريرة عند البخاري بإسقاط " حتى " فعلى ثبوتها يقرأ يريه بالنصب وعلى حذفها بالرفع ، قال : ورأيت جماعة من المبتدئين يقرءونها بالنصب مع إسقاط حتى جريا على المألوف ، وهو غلط إذ ليس هنا ما ينصب . وذكر أن ابن الخشاب نبه على ذلك . ووجه بعضهم النصب على بدل الفعل من الفعل وإجراء إعراب يمتلئ على يريه ، ووقع في حديث عوف بن مالك عند الطحاوي والطبراني لأن يمتلئ جوف أحدكم من عانته إلى لهاته قيحا يتخضخض خير له من أن يمتلئ شعرا وسنده حسن . ووقع في حديث أبي سعيد عند مسلم لهذا الحديث سبب ولفظه " بينما نحن نسير مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالعرج إذ عرض لنا شاعر ينشد فقال : أمسكوا الشيطان ؛ لأن يمتلئ " فذكره . ويريه بفتح الياء – آخر الحروف – بعدها راء ثم ياء أخرى ، قال الأصمعي : هو من الوري بوزن الرمي يقال منه رجل مورى غير مهموز وهو أن يورى جوفه وأنشد :

قالت له وريا إذا تنحنحا

تدعو عليه بذلك . وقال أبو عبيد : الوري هو أن يأكل القيح جوفه . وحكى ابن التين فيه الفتح بوزن الفري وهو قول الفراء ، وقال ثعلب : هو بالسكون المصدر ، وبالفتح الاسم . وقيل : معنى قوله حتى يريه أي يصيب رئته ، وتعقب بأن الرئة مهموزة فإذا بنيت منه فعلا قلت رأه يرأه فهو مرئي انتهى ، ولا يلزم من كون أصلها مهموزا أن لا تستعمل مسهلة ، ويقرب ذلك أن الرئة إذا امتلأت قيحا يحصل الهلاك ، وأما قوله جوف أحدكم فقال ابن أبي جمرة يحتمل ظاهره أن يكون المراد جوفه كله وما فيه من القلب وغيره ، ويحتمل أن يريد به القلب خاصة وهو الأظهر لأن أهل الطب يزعمون أن القيح إذا وصل إلى القلب شيء منه وإن كان يسيرا فإن صاحبه يموت لا محالة ، بخلاف غير القلب مما في الجوف من الكبد والرئة . قلت : ويقوي الاحتمال الأول رواية عوف بن مالك لأن يمتلئ جوف أحدكم من عانته

إلى لهاته وتظهر مناسبته للثاني لأن مقابله – وهو الشعر – محله القلب لأنه ينشأ عن الفكر ، وأشار ابن أبي جمرة إلى عدم الفرق في امتلاء الجوف [ص: ٥٦٥] من الشعر بين من ينشئه أو يتعانى حفظه من شعر غيره وهو ظاهر ، وقوله قيحا بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها مهملة المدة لا يخالطها دم ، وقوله شعرا ظاهره العموم في كل شعر ، لكنه مخصوص بما لم يكن مدحا حقا كمدح الله ورسوله وما اشتمل على الذكر والزهد وسائر المواعظ مما لا إفراط فيه ، ويؤيده حديثعمرو بن الشريد عن أبيه عند مسلم كما أشرت إليه قريبا ، قال ابن بطال : ذكر بعضهم أن معنى قوله خير له من أن يمتلئ شعرا يعني الشعر الذي هجي به النبي – صلى الله عليه وسلم – . وقال أبو عبيد : والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول ؛ لأن الذي هجي به النبي – صلى الله عليه وسلم – لو كان شطر بيت لكان كفرا ، فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه ، ولكن وجهه عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه ، فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئا من الشعر . قلت : وأخرج أبو عبيد التأويل المذكور من رواية مجالد عن الشعبي مرسلا فذكر الحديث وقال في آخره : يعني من الشعر الذي هجي به النبي – صلى الله عليه وسلم – . وقد وقع لنا ذلك موصولا من وجهين آخرين ، فعند أبي يعلى من حديث جابر في الحديث المذكور قيحا أو دما خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به وفي سنده راو لا يعرف ، وأخرجه الطحاوي وابن عدي من رواية ابن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة مثل حديث الباب قال " فقالت عائشة لم يحفظ إنما قال : من أن يمتلئ شعرا هجيت به " ، وابن الكلبي واهي الحديث ، وأبو صالح شيخه ما هو الذي يقال له السمان المتفق على تخريج حديثه في الصحيح عن أبي هريرة ، بل هذا آخر ضعيف يقال له باذان ، فلم تثبت هذه الزيادة . ويؤيد تأويل أبي عبيد ما أخرجه البغوي في " معجم الصحابة " والحسن بن سفيان في مسنده والطبراني في " الأوسط " من حديث مالك بن عمير السلمي أنه شهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الفتح وغيرها وكان شاعرا فقال " يا رسول الله أفتني في الشعر " فذكر الحديث وزاد " قلت يا رسول الله امسح على رأسي ، قال فوضع يده على رأسي فما قلت بيت شعر بعد " وفي رواية الحسن بن سفيان بعد قوله " على رأسي " " ثم أمرها على كبدي وبطني " وزاد البغوي في روايته : فإن رابك منه شيء فاشبب بامرأتك وامدح راحلتك فلو كان المراد الامتلاء من الشعر لما أذن له في شيء منه . بل دلت الزيادة الأخيرة على الإذن في المباح منه . وذكر السهيلي في غزوة ودان عن جامع ابن وهب أنه روي فيه أن عائشة – رضي الله عنها – تأولت هذا

الحديث على ما هجي به النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأنكرت على من حمله على العموم في جميع الشعر ، قال السهيلي : فإن قلنا بذلك فليس في الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه ، فلا يدخل في النهي رواية اليسير على سبيل الحكاية ، ولا الاستشهاد به في اللغة . ثم ذكر استشكال أبي عبيد وقال : عائشة أعلم منه ، فإن الذي يروي ذلك على سبيل الحكاية لا يكفر ، ولا فرق بينه وبين الكلام الذي ذموا به النبي – صلى الله عليه وسلم – . وهذا هو الجواب عن صنيع ابن إسحاق في إيراده بعض أشعار الكفرة في هجو المسلمين ، والله أعلم . واستدل بتأويل أبي عبيد على أن مفهوم الصفة ثابت باللغة ؛ لأنه فهم منه أن غير الكثير من الشعر ليس كالكثير فخص الذم بالكثير الذي دل عليه الامتلاء دون القليل منه فلا يدخل في الذم . وأما من قال إن أبا عبيد بنى هذا التأويل على اجتهاده فلا يكون ناقلا للغة ، فجوابه أنه إنما فسر حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – في كتابه على ما تلقفه من لسان العرب لا على ما يعرض في خاطره لما عرف من تحرزه في تفسير الحديث النبوي . وقال النووي : استدل به على كراهة الشعر مطلقا وإن قل وإن سلم من الفحش . وتعلق بقوله في حديث أبي سعيد " خذوا الشيطان " '، . وأجيب باحتمال أن يكون كافرا ، أو كان الشعر هو الغالب عليه ، [ص: ٥٦٦] أو كان شعره الذي ينشده إذ ذاك من المذموم . وبالجملة فهي واقعة عين يتطرق إليها الاحتمال ولا عموم لها فلا حجة فيها ، وألحق ابن أبي جمرة بامتلاء الجوف بالشعر المذموم حتى يشغله عما عداه من الواجبات والمستحبات الامتلاء من السجع مثلا ومن كل علم مذموم كالسحر وغير ذلك من العلوم التي تقسي القلب وتشغله عن الله – تعالى – وتحدث الشكوك في الاعتقاد وتفضي به إلى التباغض والتنافس .

(تنبيه) : مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر أن الذين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال به ، فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله – تعالى – وعبادته ، فمن أخذ من ذلك ما أمر به لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك ، والله أعلم .

باب ما يكره من الإطناب في المدح، وليقل ما يعلم

شرح الحديث رقم ١١٠٢ صفحة –٤٩٣–كتاب الشيخ: يحي اليحيى الجزء الثالث

جاء في كتاب فتح الباري لابن حجر :

٥٧١٤ حدثنا آدم حدثنا شعبة عن خالد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مرارا إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله أحدا قال وهيب عن خالد ويلك

قال ابن حجر في شرح الحديث

قوله : (عن خالد) هو الحذاء وصرح به مسلم في روايته من طريق غندر عن شعبة .

قوله : (إن رجلا ذكر عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فأثنى عليه رجل خيرا) وفي رواية غندر " فقال : يا رسول الله ما من رجل بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل منه في كذا وكذا " لعله يعني الصلاة لما سيأتي .

قوله : (ويحك) هي كلمة رحمة وتوجع ، وويل كلمة عذاب ، وقد تأتي موضع ويح كما سأذكره .

قوله : (قطعت عنق صاحبك يقوله مرارا) في رواية يزيد بن زريع عن خالد الحذاء التي مضت في الشهادات ويحك قطعت عنق صاحبك ، قطعت عنق صاحبك ، مرارا وبين في رواية وهيب التي سأنبه عليها بعد أنه قال ذلك ثلاثا .

قوله : (إن كان أحدكم) في رواية يزيد بن زريع وقال إن كان قوله : (لا محالة) أي لا حيلة له في ترك ذلك وهي بمعنى لا بد والميم زائدة ، ويحتمل أن يكون من الحول أي القوة والحركة .

قوله : (فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى) بضم أوله أي يظن ووقع في رواية يزيد بن زريع إن كان يعلم ذلك وكذا في رواية وهيب .

قوله : (والله حسيبه) بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد التحتانية الساكنة موحدة أي كافيه ، ويحتمل أن يكون هنا فعيل من الحساب أي محاسبة على عمله الذي يعلم حقيقته ، وهي جملة اعتراضية ، وقال الطيبي : هي من تتمة المقول ، والجملة الشرطية حال من فاعل فليقل ، والمعنى فليقل أحسب أن فلانا كذا إن كان يحسب ذلك منه ، والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه ، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازما بذلك . قوله : (ولا يزكى على الله أحد) كذا لأبي ذر عن المستملي والسرخسي بفتح الكاف على

البناء للمجهول وفي رواية الكشميهني ولا يزكي بكسر الكاف على البناء للفاعل وهو المخاطب أولا المقول له فليقل ، وكذا في أكثر الروايات ، وفي رواية غندر ولا أزكي بهمزة بدل التحتانية أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيبا عنه ، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي أي لا تزكوا أحدا على الله لأنه أعلم بكم منكم .

قوله : (قال وهيب عن خالد) يعني بسنده المتقدم (ويلك) أي وقع في روايته ويلك بدل ويحك ، وستأتي [ص: ٤٩٣] رواية وهيب موصولة في " باب ما جاء في قول الرجل ويلك " ويأتي شرح هذه اللفظة هناك . قال ابن بطال : حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة ، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به ، ولذلك تأول العلماء في الحديث الآخر احثوا في وجوه المداحين التراب أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل ، وقال عمر : المدح هو الذبح . قال : وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي ، فقد مدح – صلى الله عليه وسلم – في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابا . انتهى ملخصا . فأما الحديث المشار إليه فأخرجه مسلم من حديث المقداد ، وللعلماء فيه خمسة أقوال : أحدها هذا وهو حمله على ظاهره واستعمله المقداد راوي الحديث ، والثاني الخيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائبا رجع وكفه مملوءة ترابا . والثالث قولوا له بفيك التراب ، والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله . والرابع أن ذلك يتعلق بالممدوح كأن يأخذ ترابا فيبذره بين يديه يتذكر بذلك مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه . والخامس المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب لأن كل الذي فوق التراب تراب ، وبهذا جزم البيضاوي وقال : شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة ، قال الطيبي : ويحتمل أن يراد دفعه عنه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من الرضخ ، والدافع قد يدفع خصمه بحثي التراب على وجهه استهانة به . وأما الأثر عن عمر فورد مرفوعا أخرجه ابن ماجه وأحمد من حديث معاوية " سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول " فذكره بلفظ إياكم والتمادح فإنه الذبح وإلى لفظ هذه الرواية رمز البخاري في الترجمة ، وأخرجه البيهقي في " الشعب " مطولا وفيه وإياكم والمدح فإنه من الذبح وأما ما مدح به النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد أرشد مادحيه إلى ما يجوز من ذلك بقوله – صلى الله عليه وسلم – لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم الحديث ، وقد تقدم بيانه في أحاديث الأنبياء ، وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب ، والممنوعة بخلافها ، ويستثنى من ذلك ما جاء عن

المعصوم فإنه لا يحتاج إلى قيد كالألفاظ التي وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – بها بعض الصحابة مثل قوله لابن عمرو نعم العبد عبد الله وغير ذلك وقال الغزالي في " الإحياء " آفة المدح في المادح أنه قد يكذب وقد يرائي الممدوح بمدحه ولا سيما إن كان فاسقا أو ظالما ، فقد جاء في حديث أنس رفعه إذا مدح الفاسق غضب الرب أخرجه أبو يعلى وابن أبي الدنيا في الصمت ، وفي سنده ضعف ، وقد يقول ما لا يتحققه مما لا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : فليقل أحسب وذلك كقوله إنه ورع ومتق وزاهد ، بخلاف ما لو قال : رأيته يصلي أو يحج أو يزكي فإنه يمكنه الاطلاع على ذلك ، ولكن تبقى الآفة على الممدوح ، فإنه لا يأمن أن يحدث فيه المدح كبرا أو إعجابا أو يكله على ما شهره به المادح فيفتر عن العمل ؛ لأن الذي يستمر في العمل غالبا هو الذي يعد نفسه مقصرا ، فإن سلم المدح من هذه الأمور لم يكن به بأس ، وربما كان مستحبا ، قال ابن عيينة : من عرف نفسه لم يضره المدح ، وقال بعض السلف : إذا مدح الرجل في وجهه فليقل : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا مما يظنون ، أخرجه البيهقي في " الشعب " .

جاء في كتاب فتح الباري لابن حجر :

باب ما يكره من التمادح

٥٧١٣ – حدثنا محمد بن صباح حدثنا إسماعيل بن زكرياء حدثنا بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل

قال ابن حجر في شرح الحديث

قوله : (باب ما يكره من التمادح) هو تفاعل من المدح أي المبالغ ، والتمدح التكلف والممادحة أي مدح كل من الشخصين الآخر ، وكأنه ترجم ببعض ما يدل عليه الخبر لأنه أعم من أن يكون من الجانبين أو من جانب واحد ، ويحتمل أن لا يريد حمل التفاعل فيه على ظاهره ، وقد ترجم له في الشهادات " ما يكره من الإطناب في المدح " .

حديث أبي موسى قال فيه حدثنا محمد بن الصباح بفتح المهملة وتشديد الموحدة وآخره حاء مهملة هو البزار ، ووقع هنا في رواية أبي ذر " محمد بن صباح " بغير ألف ولام ، وتقدم الكل في الشهادات بهذا

الحديث بعينه ، وأخرجه مسلم عنه فقال : " حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح " وهذا الحديث مما اتفق الشيخان على تخريجه عن شيخ واحد ، ومما ذكره البخاري بسنده ومتنه في موضعين ولم يتصرف في متنه ولا إسناده وهو قليل في كتابه ، وقد أخرجه أحمد في مسنده عن محمد بن الصباح ، وقال عبد الله بن أحمد بعد أن أخرجه عن أبيه عنه : قال عبد الله وسمعته أنا من محمد بن الصباح فذكره ، وإسماعيل بن زكريا شيخه هو الخلقاني بضم المعجمة وسكون اللام بعدها قاف ، وبريدة بموحدة وراء يكنى أبا بردة مثل كنية جده وهو شيخه فيه ، وقوله عن بريد في رواية الإسماعيلي " حدثنا بريد " .

قوله : (سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلا يثني على رجل) لم أقف على اسمهما صريحا ، ولكن أخرج أحمد والبخاري في " الأدب المفرد " من حديث محجن بن الأدرع الأسلمي قال : " أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيدي " فذكر حديثا قال فيه " فدخل المسجد فإذا رجل يصلي ، فقال لي من هذا ؟ فأثنيت عليه خيرا ، فقال : اسكت لا تسمعه فتهلكه " وفي رواية له " فقلت يا رسول الله هذا فلان وهذا وهذا " وفي أخرى له " هذا فلان وهو من أحسن أهل المدينة صلاة ، أو من أكثر أهل المدينة " الحديث . والذي أثنى عليه محجن يشبه أن يكون هو عبد الله ذو النجادين المزني ، فقد ذكرت في ترجمته في الصحابة ما يقرب ذلك .

قوله : (ويطريه) بضم أوله وبالطاء المهملة من الإطراء وهو المبالغة في المدح ، وسأذكر ما ورد في بيان ما وقع [ص: ٤٩٢] من ذلك في الحديث الذي بعده .

قوله : (في المدحة) بكسر الميم ، وفي نسخة مضت في الشهادات " في المدح " بفتح الميم بلا هاء ، وفي أخرى " في مدحه " بفتح الميم وزيادة الضمير والأول هو المعتمد .

قوله : (لقد أهلكتم – أو قطعتم – ظهر الرجل) كذا فيه بالشك ، وكذا لمسلم ، وسيأتي في حديث أبي بكرة الذي بعده بلفظ قطعت عنق صاحبك وهما بمعنى ، والمراد بكل منهما الهلاك لأن من يقطع عنقه يقتل ومن يقطع ظهره يهلك .